



التجدد في التراث اللامادي والفنون المعاصرة بقلم: د خضير المرشدي

مفهومان يشيران إلى اتجاهات مختلفة في عالم الفن والثقافة.. فالتراث اللامادي يشمل القيم والتقاليد والعادات والممارسات الثقافية التي تنتقل من جيل إلى جيل دون الاعتماد على وسائل مادية محددة ويمتاز التراث اللامادي بتأكيد على القصص والروايات والعادات الشفهية، وتناقل المعرفة بشكل شفوي والعلاقة الحميمة بين المجتمعات ومحيطها. أما الفنون المعاصرة فهي تعبير عن التطور والابتكار الفني في العصر الحديث، وتشمل هذه الفنون مجموعة متنوعة من التقنيات والأساليب التي تتحدى التقاليد التقليدية وتستكشف أفكارًا جديدة ومفاهيم متطورة... الفن المعاصر يمتاز بتنوعه وتعدده وقدرته على استخدام وسائل مادية ولا مادية مثل الفيديو والتكنولوجيا الرقمية والأداء المباشر.

إن هذين المفهومين يتقاطعان في بعض الأحيان، حيث يمكن أن يُستخدم التراث اللامادي كمصدر إغناء للفنون المعاصرة... وقد تعبر الفنون المعاصرة أيضًا عن قضايا التراث والهوية والتغيير في المجتمعات الحديثة.

كما وإن الجمال يتمثل في التناغم بين التراث اللامادي والفنون المعاصرة، وتفسيرهما واستيعابهما من خلال العدسة الفكرية للفنانين والمبدعين.

ومن النماذج والتجارب العالمية المثيرة في مجال التراث اللامادي والفنون المعاصرة، نجد:

1- كاتدرائية نوتردام

من يزور هذه الكاتدرائية العريقة في باريس يجد مثالًا رائعًا من التراث اللامادي، حيث تمتاز العمارة القوطية القديمة والتماثيل والنقوش بشكل مذهش، مما يجسد تاريخًا طويلًا من الفن والثقافة.

2- آرت (Art) بازل

هو معرض فنون معاصرة يُقام سنويًا في مدينة بازل بسويسرا.. يضم المعرض أعمالًا لفنانين معاصرين بارزين من مختلف أنحاء العالم، ويمتد لعدة أيام، حيث يجذب الزوار المهتمين بالفنون الحديثة والتجار والمجموعات الفنية.

3- فنون الشارع:

تعد الرسوم الجدارية والأعمال الفنية في الشوارع من الفنون المعاصرة الملفتة للنظر، وتعكس هذه الأعمال إبداعات الفنانين ومشاعرهم وآرائهم وقضايا الحياة اليومية، وتجذب الانتباه وتحول المدن إلى معارض فنية ضخمة.

4- فن التصوير بالغطاء الكامل

يعتمد هذا الفن على صندوق بسيط يحتوي على فتحة صغيرة تعمل كعدسة، يسمح بالتقاط صور فريدة وغير معتادة تعبر عن جمال التجربة والإبداع في الفن.

5- الأداء المباشر (Performance Art)

يمزج الأداء المباشر بين العمل الفني والأداء المسرحي، حيث يُقدم الفنانون أعمالاً حية أمام الجمهور، ويشمل هذا الفن الحركة والكلام والموسيقى والعناصر البصرية، ويعبر عن مشاعر ومفاهيم وقضايا مختلفة.

أما على الصعيد العربي فإن الثقافة العربية غنية بنماذج من التراث اللامدّي، والفنون المعاصرة والتي تعتبر إحدى أنواع القوى الفاعلة في مواجهة الغزو الثقافي وصد حروب الجيل الرابع وما بعده.. حيث يوجد العديد من الأمثلة والنماذج التي تعكس الفنون المعاصرة مثل:

1- الخط العربي

أعتبر الخط العربي فناً تقليدياً يعكس جمالية الكتابة العربية المزخرفة ويمزج بين الخطوط والأشكال والألوان لإنتاج قطع فنية فريدة.

2- الفن الإسلامي

يتميز الفن الإسلامي بالزخارف الهندسية والأشكال الهندسية المكررة. يتواجد هذا النوع من الفن في المباني والفسيفساء والزخارف التي تزين الأغصان والمخطوطات.

3- النحت العربي التقليدي :

يشتهر النحت العربي بالمشاهد والتمثيل التي تمثل الأشخاص والحيوانات والنباتات، ويتم استخدام المواد المختلفة مثل الخشب والحجر والبرونز في صنع هذه الأعمال.

4- المطبخ العربي والازياء العربية التقليدية

تعتبر من التراث اللامدّي المؤثر والمدهش الذي يستقطب اذواق الكثير من المهتمين. أما الفنون المعاصرة فإنها قد تطورت بتطور الأشكال والتقنيات الفنية، وهناك العديد من الفنانين العرب المعاصرين الذين يستخدمون وسائل مبتكرة للتعبير عن الفن، ومن النماذج البارزة على ذلك:

1- الفن التجريدي

يعتمد الفن التجريدي المعاصر على الأشكال والألوان والخطوط للتعبير عن الأفكار والمشاعر دون الاعتماد على التمثيل الواقعي.

2- الفن المفاهيمي

يركز الفن المفاهيمي على الأفكار والمفاهيم والرسائل، ويُعتبر العمل الفني وسيلة لنقل فكرة أو رؤية أو ظاهرة مجتمعية سائدة.

3- الفن التكنولوجي

يتعامل الفن التكنولوجي مع التكنولوجيا الرقمية والوسائط المتعددة في إنتاج الأعمال الفنية. ويستخدم الفنانون المعاصرون التكنولوجيا لإنشاء أعمال تفاعلية ورقمية مبتكرة.

4- العمارة التقليدية العربية

تتميز العمارة العربية بمبانيها ذات البنية المميزة، مثل القصور والمساجد والمدارس التي اكتسبت فخامتها وجمالها باستخدام العناصر الزخرفية المعقدة والمناسبة للمناخ العربي.

5- الزخرفة العربية

تشمل الأشكال المعقدة والمتناغمة المستخدمة في الفسيفساء والخزف والتطريز والمنسوجات والتصميمات الزخرفية الأخرى التي تتميز بالألوان الزاهية والأنماط المعقدة.

6- الموسيقى التقليدية العربية

تتميز بتنوع الآلات الموسيقية المستخدمة، مثل العود والقانون والناي والدربكة والطلبة وغيرها، وتعتبر الموسيقى التقليدية العربية عن ذوق ومشاعر وثقافة المجتمع العربي.

أما في الفنون المعاصرة نجد:

1- الفن التجسيمي

يعتمد على استخدام الأشكال والمواد لإنتاج أعمال فنية ثلاثية الأبعاد تعبر عن الأفكار والمفاهيم بطرق مبتكرة.

2- الفن النسوي العربي

يركز على قضايا المرأة والهوية الجنسية، ويُعبر عنها بالرسم والنحت والتصوير الفوتوغرافي والأداء والفيديو.

3- فن الشارع العربي

يتميز باللوحات والرسومات والتعبيرات الفنية التي تظهر في الأماكن العامة، وتعكس قضايا اجتماعية وسياسية وفكرية وثقافية وهموم متنوعة.

هذه بعض من النماذج للتراث اللامدّي والفنون المعاصرة في الثقافة العربية. وهناك المزيد من الأمثلة في الآثار والحضارات القديمة، ومن الفنانين المعاصرين الذين يستخدمون وسائل مختلفة للتعبير عن الفن والثقافة.

فإذا ما تم توظيف هذه الثروة الهائلة من القوى الناعمة من قبل الجهات المعنية بالثقافة العربية، واستثمرت وفق رؤية متجددة ومواكبة للتطور العالمي، فإنها ستكون أداة فعّالة لنقل الثقافة العربية الشعبية إلى مستويات رفيعة، وإبرازها كأحدى المؤثرات على الصعيد الإنساني لصالح القضايا العربية الراهنة.

وأخيراً لابد من الإشارة الى ان عملية التجديد في هذين المفهومين تتجسد في اشكال وصور عدة، حيث يرتبط مفهوم التراث اللامادّي والفنون المعاصرة بعلاقة وطيدة مع عملية التجديد . ففي التراث اللامادّي، يكمن التجديد في إعادة اكتشاف وإحياء القيم والتقاليد الثقافية القديمة وتطبيقها وتفسيرها في سياقات معاصرة، ويمكن للتجديد أن يتضمن تطوير تقنيات جديدة لحفظ ونقل المعرفة الشفهية، وتحديث الممارسات الثقافية القديمة لتناسب متطلبات العصر الحديث. وما يتعلق بالفنون المعاصرة، فإن التجديد يتجلى في تحديد المعايير التقليدية للفنون واستكشاف أساليب وتقنيات ومفاهيم جديدة له..

ومما يساعد على ذلك إن الفن المعاصر في فلسفته .. يهدف إلى تحقيق التجديد والابتكار، ويعتمد على استخدام وسائل تعبيرية جديدة وغير تقليدية ..

ويقوم الفنانون المعاصرون بتحويل التراث الثقافي والتقاليد إلى أعمال فنية معاصرة تعكس تحولات المجتمع وتواجه التحديات المعاصرة.

الخلاصة .. إن عملية التجديد تُعدّ روحاً مشتركة بين التراث اللامادّي والفنون المعاصرة، فكلاهما يسعى لتجديد الأفكار والتقنيات والممارسات بطرق مختلفة، سواءً عبر استعادة التراث القديم وإعطائه أبعاد جديدة، أو باستكشاف وابتكار أشكال فنية جديدة تعبر عن التحولات الحديثة في المجتمع.